ما تعكسه من نتائج ثورية في تربية المقاتل . لقد كانت فـــرق العروض السينمائية تقدم ، اضافة الى الافلام النضالية ، افلاما تعليمية عن اساليب القتال وانواع الاسلحة والاسعافات الاولية ، وشتى الموضوعات التي حولـت ساحات القتال الى حقيقة سريعة للانتصار .

لقد عرف الشعب الفيتنامي كيف يترجم مقولة (هوشي منه) ـ الـى جانب الكفاح يجب ان نتعلم كيف نغني ـ .

ان الفن الفيتنامي الذي واكب الثورة وعبر عنها ، ولا يزال يعبر عنها في مرحلة البناء انما يعتبر بحق نموذجا فريدا للفن الثوري . وبالتأكيد فـان نماذج اخرى من الفنون الثورية قد ظهرت في العالم ومنها الفنون في كوبا ، والتي عبرت عن قيم فكرية ثورية وباشكال وصيَغ جميلة ، استطاعت ان تشكل اتجاهات في مسار الفنون المعاصرة .

الفن العربي والفلسطيني

بعد ان اوضحنا مضمون ومعنى الفن والفن الثوري ، نتساءل فيما اذا كان لهذه الفنون وجود في البلدان العربية ، والى اي مدى عبرت الفنون عن الواقع المعاش بشكل واع ومبدع ؟

ان نظرة موضوعية الى الواقع السياسي العربي تجعلنا نعرف وندرك معاناة الفنان وصعوبة تحركه ، ذلك ان طبيعة الانظمة العربية سواء المرتبطة منهـا بعجلة الاستعمار او الانظمة البورجوازية .. هذه الطبيعة تمارس ازاء الانسان العربي جملة من الممارسات الفاشية من سجن وتعذيب واعدامات ، اضافة الى محاصرته بارهاب فكري وباساليب اعلامية تضليلية ، ويقع الفنان العربـي بالضرورة تحت سلطة هذه الدائرة بحيث ان اي نمو ابداعي لا يلبث ان يقمع حال احساس هذا النظام او ذلك بامكانية تأثيره على الجماهير .

ولقد برزت عبر تاريخ النضال العربي اعمالا فنية عظيمة دون شـك استطاعت ان تبرز وتنتشر بسبب الفترات القصيرة التي فرضت فيها الجماهير شيئا من الديمقراطية ، ولكن بشكل عام فان الفن « الثوري » بقي سجـين الغرف واحيانا سجين الادمغة !

فرسائل الانتاج السينمائية مثلا متوفرة بحوزة هذه الانظمة ، اذ لا فرصة للفنان لكي يحقق اشرطة سينمائية الا عبر مؤسسات ما يسمى بالقطـاع العام (وهو قطاع رأسمالي للدولة في حقيقته) .. وهذا القطاع الرأسمالـي العربي (العام) يفرض شروطه في كشف الواقع ، اذ ينبغي ان يصور الواقع على انه واقع مترف ملون يمتلىء مزحا وديمقراطية ويزهو امام الماضـي والمستقبل وعيد ليبشر العالم بامكانية مدهشة للازدهار .. الى اخره . وهـذا الواقع هو بالطبع عكس حقيقته التي يموت فيه الانسان جوعا وخوفا لا يمت للخير والازدهار بصلة لا من بعيد ولا من قريب !

وايضا مطلوب من الفنان الذي يرغب في ممارسة نشاطه الانساني والحصول على فرصته الطبيعية في الحياة ، مطلوب منه ان يوجه كاميرته الى عنفوان المسؤولين ومواكبهم المزدهرة بالدراجات البخارية واسلحة الحماية المعتدة من نوافذ سيارات المرسيدس ... الى اخره !

(وبدون هذه الشروط فانك ايها الصديق الفنان محكوم عليك بالنضال !).

الفنان العربي ضمن هذا الواقع المأساوي يعيش حالة حصار حقيقيـة ، وامكانية التعبير عن الواقع تكاد تكون معدومة ، لذلك فبدون فكر ثوري تطرحه الاحزاب والمنظمات السياسية العربية لا يمكن في تصوري ازدهار فن ثوري ، لان الفن الثوري انما ينمو في مسار فكر ثوري وممارسة ثورية في نفس الوقت .

هنا يسحبنا الحديث الى واقع الفن الفلسطيني ضمن مسار الثـــورة الفلسطينية . فالثورة الفلسطينية التي حملت البندقية لتدافع عن فكرهـا واستراتيجيتها في تحرير فلسطين مع وحدة العلاقة مع حركة التحرر الوطنـي العربية والقوى التقدمية في العالم والتحالف مع البلدان الاشتراكية وفي مقدمتها الاتحاد السوفياتي .. هذه الرؤية تنتج بالضرورة ثقافة من المفروض ان تتبلور لتصبح مع عامل الزمن ، ثقافة ثورية وتنتج فنا ثوريا .

وبهذا الصدد كان الادب اكثر ثورية من الفن ، لان عملية الكتابة تعتبـر

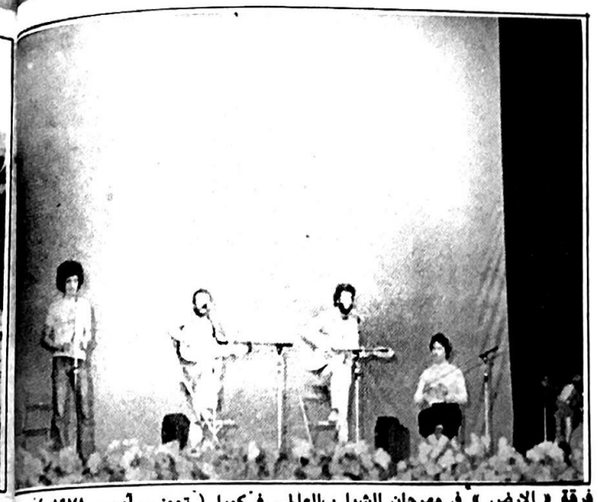

فرقة « الارض » في مهرجان الشبا بالعالمي في كوبا (تموز ـ آب ـ ١٩٧٨)

من الابداع الفردي ، بعكس السينما والمسرح اللتان تعتبران ابداعا جماعيا ، والابداع الجماعي هو عادة اكثر صعوبة في العطاء ، لانه يتطلب اضافة الـى الالفة الذاتية ، ظروفا انتاجية مادية وغير مادية ، كي تحقق بمجموعها عملية الابداع .

السينما الفلسطينية ، قدمت مجموعة من الاشرطة ، تختلف في مستوها الفني وقيمها الفكرية الفكرية ، وعلى العموم فان ما انتج حتى الان لم يكـن بمستوى عطاء الثورة الفلسطينية ، واذا كان ما هو هام في السينما الفلسطينية فان هذه المبادرات او تلك ، استطاعت ان توثق الواقع .

الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين
كيف تنظر الى الفن ؟

في اول نشرة سينمائية صدرت عن اللجنة الفنية في الجبهة والتابعة الى لجنة الاعلام المركزية ، جاء فيها :

« .... لقد لعبت السينما الفلسطينية دورا نشيطا وفعالا خلال عمرهـا القصير وضمن نشاطها المحدود ، فبعد ان كان الشريط السينمائي غائبا فترة طريلة من الزمن عن المشاركة في مجريات الاحداث دخل الشريط السينمائـي الفلسطيني ليشكل ظاهرة جديدة متنامية ضمن ظاهرة المقاومة الفلسطينيـة المسلحة مرتبطا ومعبرا عنها بهذا الشكل او ذاك بالرغم من ان مجموع النشاط

السينمائي الفلسطيني ظل محصورا ضمن مبادرات ودون مستوى التخطيـط والبرمجة المناسبة ، فقد كان قفزة طويلة الى الامام ، ولا ريب ان شرط تطور السينما الفلسطينية كامن في نضوج الوعي السياسي والثقافي لاهمية السينما وحتى يكون استيعاب التقييم اللينيني للسينما استيعابا عميقا واكيـدا وراسخا وليس مجرد اعجاب واندهاش ازاء ما كان يراه معلم البروليتاريا مـن اهمية متقدمة للسينما في الانهاض والتحريك ـ من بين جميع الفنون السينما هي الاهم ـ .

اننا سنعمل بكل جهدنا وطاقاتنا من اجل ان نعطي لهذه الكلمة مدلولها كي تتقدم سينما فلسطين المقاتلة الى الصفوف الامامية في حركـة السينمـا العالمية » .

منذ ان تشكلت في الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين لجنة فنية ارتبطت بلجنة الاعلام المركزية ، تدارست ما يمكن ان ترسمه لنفسها كي لا تصبـح لجنة مهمتها انتاج الاشرطة السينمائية في هذا الوقت او ذاك ، لهذه المناسبة او تلك ، فان ذلك سيحولها الى مؤسسة تقليدية ذات نفس قصير لا ينسجـم مع خط الجبهة وفكرها .

لذلك كان من اولى مهماتها بناء الكادر الفني الذي بواسطته نضمن بناء المستقبل وديمومة العمل على اسس علمية ، فقامت اللجنة بانتقاء عناصر كفوءة اخذت تدربهم ، وتوفر لهم الفرص لتحصيل علمي في البلدان الصديقة ، كذلك توفير المعدات اللازمة للانتاج دون الاعتماد على اجهزة الشركات التجارية التي ، اضافة الى الكلفة العالية في الانتاج ، تحول دون امكان فرص الابداع لانها ترتبط بشروط وامزجة هي غير العملية الثورية للفنان بالتأكيد .

وهذا الشرطان حققتهما الجبهة الشعبية الى اللجنة الفنية ادراكا منها لاهمية الفن في المعركة .

فما هي الاقسام التي تشكل اللجنة الفنية .

١ ـ قسم السينما
٢ ـ قسم الفوتوغراف
٣ ـ قسم الموسيقى والغناء
٤ ـ قسم المسرح
٥ ـ قسم الفنون التشكيلية .

ان الاقسام الثلاثة الاولى هي اقسام نشيطة ، فلقد توفرت لها حتى الان امكانات تقنية وبشرية ، وهي تعمل ضمن برنامج مدروس مستفيد من عموم التجربة الفلسطينية في هذا المضمار محاولا تلافي الاخطاء والابتعاد عـن السذاجة والمباشرة والاعلانية ومحاكاة العواطف بشكل مجرد ، وتأكيد ما هـو ايجابي وعقلاني والسعي لتطويره من خلال عملية نقاش رفاقية واعية .

ومع ان حجم الانتاج كان قليلا حتى الان الا ان عملية البناء كانت اكثر اهمية مما سيسهل عملية الانتاج بشكلها الابداعي في المرحلة القادمة .

لقد انتج قسم السينما حتى الان سبعة افلام هي :

(النهر البارد ـ الكلمة البندقية ـ لن تسكت البنادق ـ على طريق الثورة ـ بيوتنا الصغيرة ـ حياة جديدة)، واسهم في انتاج فيلم (لماذا نزرع الورد لماذا نحمل السلاح) للاعلام الموحد .

● الانتاج القادم ـ فيلم روائي طويل عن الحرب اللبنانية من خلال صمود تل الزعتر ، وهو عبارة عن ثلاث قصص تحلل الواقع الاجتماعي والاقتصادي اللبناني ، وارتباط هذا الواقع بالقضية الفلسطينية ـ اضافة الى برنامـج الانتاج الوثائقي .

● اصدرت اللجنة الفنية اول جريدة سينمائية فلسطينية تحمل اسـم « الهدف » عام ١٩٧٤ .

● اول مشاركة فلسطينية في مهرجانات السينما قامت بها الجبهـة الشعبية عام ١٩٧٢ في ليبنريغ بفيلم ـ النهر البارد ـ حيث تحدث مدير المهرجان انذاك ـ هركنتال ـ في مؤتمر صحفي عن هذه المشاركة ، ورفع العلم الفلسطيني لاول مرة في مهرجانات السينما العالمية .

● حاز فيلم (بيوتنا الصغيرة) على الجائزة الفضيـة في مهرجـان لايبنريغ عام ١٩٧٤ ، وكذلك على الجائزة الفضية في مهرجان افلام فلسطين في بغداد عام ١٩٧٢ .

● حاز فيلم (لماذا نزرع الورد لماذا نحمل السلاح) الذي ساهمت فيـه الجبهة الشعبية ـ اخراجا ـ بجائزة اتحاد الشبيبة العالمي عام ١٩٧٣ في مهرجان لايبنريغ وجائزة اتحاد السينمائيين في اوزبكستان ، الاتحاد السوفياتي ، عام ١٩٧٤ .

● يقوم قسم السينما بعروض ـ سينمائية ـ دائمة في المخيمـات والقواعد .

● عمل قسم السينما على توفير ارشيف غني عن القضية الفلسطينية عن تاريخها القديم والمعاصر .

اما قسم الفوتوغراف ، فانه يغذي مجلة الهدف بالصور الصحفية ، ويقوم بتزويد كافة اللجان التنظيمية والنقابية بصور لنشاطات المعارض في المخيمات والقواعد وفي الخارج ، صور عن النشاطات العسكرية والثقافيـة والاجتماعيـة والصحية ، وقد انتج بمناسبة الذكرى الحادية عشرة لتأسيس الجبهـة مجموعتان من السلايدات الملونة الاولى على شكل ملف والثانية على شكـل كتاب تشكل السلايدات غلافه ، وهذه السلايدات مكتوبة بمعلومات ايضاحية عن كل صورة باللغتين العربية والانكليزية .

وفيما يخص قسم الموسيقى والغناء ، فبعد الشريط الغنائي الاول للاغاني الثلاث ، وبعد ان تكاملت اللجنة الموسيقية وشكلت فرقة (الارض) قامت بانتاج ثماني اغان ، صدرت في شريط بمناسبة الذكرى الحادية عشرة للجبهة ، وستقوم بتقديم فعالياتها الحية في المخيمات والقواعد وامام جماهيرنـا واصدقائنا في العالم .

وبمناسبة الذكرى الحادية عشرة لتأسيس الجبهة فان اللجنة الفنيـة تعلن عن المباشرة بافتتاح قسمي المسرح والفنون التشكيلية .

ان الاطر التنظيمية لهذه الاقسام وعلاقتها باللجنة الفنية ، يعتمد علـى الاستقلالية شبه التامة في رسم البرنامج ووسائل تنفيذه ، وهذه الاستقلاليـة تعطي لكل قسم فرصة الابداع وابتكار الوسائل الكفيلة بتطويره ضمن الخطة المناقشة من قبل اللجنة الفنية والمقرة من قبل لجنة الاعلام المركزية .

نلاحظ ان التوجه المدروس لهذه العملية الابداعية سيحقق في النهايـة حصيلة نحن لا نستغني عنها في مسار ثورتنا . ومن هذه البرمجة نفهم معنـى الفن الثوري بمعنى ان نسعى لانتاج اعمال ابداعية ذات قيم فكرية وفنيـة تتأثر وتؤثر بالثورة ... ثقافة فنية قادرة على ان تكشف الواقع وتقـدم للثوار معطياته .

اننا ندرك ، بان اية عملية ابداعية لا ترتبط بحركة الواقع ولا تعبر عن معاناة الجماهير وطموحها ومساهمتها في عملية التغيير انما تنفي القيـم الابداعية بمفهومها الاجتماعي ، حيث لا تتعدى كونها حالة تعبير ذاتيـة محضة ، وهي بذلك تصبح غير نافعة اجتماعيا .

■